مظاهر الرحمة في الفقه الإسلامي

الأستاذ: سيدعلي غبريد

أستاذ مساعد، كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر 1 –

الملخص

لقد اعتنى علماء العقيدة والتربية وأصحاب التصوف والسلوك بمصطلح الرحمة؛ كونه صفة من صفات الله تعالى، وخلقا من أخلاق النبي ﷺ، وأخلاق الصالحين، فتكلموا عليه بإسهاب، غير أن كثيرا من الباحثين والمؤلِّفين يُغفِلون ما يذكره الفقهاء تجاه هذا المصطلح، وهذا ما حاولت تناولَه وبحثَه؛ فبيَّنْتُ مجيءَ هذا المصطلح في الكتاب والسنة، وما له من الألفاظ ذات الصلة به، ثم ذكرتُ استعمالاته لدى الفقهاء في باب العبادات، ثم في باب المعاملات، وخصصتُ فرعا لبيان ما ذكره الفقهاء مما لا يتناسب مع الرحمة؛ كمثل إقامة الحدود والقضاء ونحوِ ذلك، وفي الأخير ختمت بخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

Summary

«The Manifestations of Mercy in Islamic Jurisprudence»

Prepared by the researcher: Ghebrid Sidali- Assistant Professor "A"/ Faculty of Islamic Sciences (University of Algiers -01-).

The scholars of the creed, the educators and the Mystics have given great importance to the term "Mercy", as it is one of the attributes of Allah, one of the ethics the prophet (peace and blessings of allah be upon him) and among the morals of the righteous. They spoke about it extensively. But, many researchers and authors overlook what the scholars say about this term.

And, this is what I have tried to deal with and research; I have explained the advent of this term in the Holy Quran and the Sunna,

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

and its related words, and the mentioned its uses among the scholars in the chapter of worship, and then in the section of transactions, and devoted a section to indicate what the jurists did not see befitting with mercy such as The establishment of sanctions, the judiciary and so on.

And in Conclusion I mentioned the key findings and recommendations.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ثم أما بعد:

فمن معالم هذا الدين الرحمةُ التي وصف الله نفسه بها في آيات كثيرة في القرآن الكريم فله الحمد والثناء، ووصف بها نبيَّه الكريمَ محمدا ﷺ وعلى آله وصحبه الأتقياء الرحماء، ووصف بها عباده المؤمنين الطاهرين الأصفياء، ووصف بها شريعته الغراء.

ولقد ظهر خلق الرحمة في تعاملات المسلمين، فأكثرَ الفقهاءُ الكلامَ عليها، وبيَّنوا أن كثيرا من المسائل الفقهية لا تنفك عنها؛ فعُلِم من هذا أن الفقهَ الإسلاميَّ كلَّه رحمة.

ولقد أمر الله تعالى وأرشد عباده إلى أن يفعلوا كل ما فيه صلاحهم، وأن مرد ذلك يعود إليهم هم، وأن الله تعالى لا تضره معصية العاصي ولا تنفعه طاعة المطيع، وقد كتب الله على نفسه الكريمة الرحمة تفضلا منه وإحسانًا وامتنانًا، وحرم الظلم منه عدلا، يقول الله تعالى مخبرا عن نفسه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 12]، وقال ﷻ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54].

وفي الحديث؛ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلّم قَالَ: «إِنَّ للهَّ مِئَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَتَرَاحَمُونَ وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

تعريف الرحمة

لغة: الرقة والتعطف، والمُرحمةُ مثلُه، وقد رحِمته وترَحَّمتُ عليه، وتراحم القوم: رحِم بعضُهم بعضا، والرحموت من الرحمة، يقال: رهبوت خير من رحموت، أي لَأن ترهب خير من أن ترحم، ورجل مرحوم ومُرَحَّمٌ، شدد للمبالغة، والرَّحِم: رحم الأنثى، وهي مؤنثة، والرَّحِم أيضا: القرابة، والرِّحْمُ بالكسر مثله، قال الأعشى:

أَمَّا لِطالِبِ نعمةٍ يَمَّمْتَها ... ووِصالِ رِحْمٍ قد بَرَدْتَ بِلالَها

والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة ونظيرهما في اللغة نديم وندمان، وهما بمعنىً، والرحيم قد يكون بمعنى المرحوم، كما يكون بمعنى الراحم[2].

اصطلاحا: الرحمة هي الإنعام على المحتاج، فالرحمن للعالَمين جميعا ينعم عليهم ويرزقهم، والرحيم بالمؤمنين خاصة يوم الدين ينعم عليهم ويغفر لهم[3].

الأَلْفَاظُ ذَاتُ الصِّلَةِ

1- **اللطف**: واعلم أن اللطف الذي يطلبه العباد من الله بلسان المقال، ولسان الحال هو من الرحمة بل هو رحمة خاصة فالرحمة التي تصل العبد من حيث لا يشعر بها أو لا يشعر بأسبابها هي اللطف[4].

(1) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (7150).

(2) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، (5/ 1929)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط: الثانية، 1399هـ-1979م، بيروت- لبنان.

(3) أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، (ص: 20)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة- مصر، ط: 1396هـ- 1976م.

(4) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي، دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد، (ص: 226)، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 12، السنة 33 -1421هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- **الغفران والعفو والإنعام**: قال الزجاج: الرحمة والغفران والعفو والإنعام بمعنى واحد[1].

3- **الحَنانُ**: كسَحابٍ: الرَّحْمَةُ والعَطْفُ؛ وبه فسّر الفراءُ قولَه تعالَى: ﴿**وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا**﴾ [مريم: 13]: أي وفعلنا ذلك رحمة لأبويك[2]، ولما كان الحنين متضمنا للإشفاقِ، والإشفاقُ لا ينفك عن الرحمة؛ عبر عنها به في آيةِ ﴿**وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا**﴾[3].

4- **الشفقة**: الرحمة والحنان والخوف من حلول مكروه[4].

5- **الرأفة**: أشدُّ الرحمةِ[5]، والفرق بين الرأفة والرحمة أن الرأفة أشد الرحمة، وقيل: الرحمة أكثر من الرأفة[6].

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، (3/ 259)، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، 1416 هـ-1996م.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الحسيني، مرتضى الزَّبيدي، (34/ 458)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(3) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، (ص: 298)، تحقيق : محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر- دار الفكر، بيروت، دمشق-سورية، ط1، 1410هـ.

(4) المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار، (1/ 487)، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار النشر- دار الدعوة.

(5) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، (ص: 267)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط: 1415هـ-1995م.

(6) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، (ص: 246)، مؤسسة النشر الإسلامي، ط: الأولى، 2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6- **العطف**: العطْفُ: الرّحمة، عَطفَ عليه يعطِف عطْفاً، ورجل عَطوف وعطّاف: عاطِف بماله وفضله، وعطَف الله عليه يعطِف عطْفاً: رحِمهُ[1].

7- **الذل**: والذُّلُّ والذِّلُّ؛ الرِّفْقُ والرَّحْمةُ، وفي التنزيل العزيز في صفة المؤمنين ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: 54]، قال ابن الأَعرابي فيما روى عنه أَبو العباس: معنى قوله أَذِلَّة على المؤمنين؛ رُحَماءُ رُفَقاءُ على المؤمنين.[2]

8- **الإحسان**: ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]، ولم يقل قريبة لأنه أراد بالرحمة الإحسان[3].

المبحث الأول

الرحمة في الإسلام

الإسلام دين العدل والرحمة، وأمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، ولقد حث الإسلام على مبدأ السواسية بين البشر في العمل والتعامل، ففيه إغاثة الملهوف، واحترام الجار وتكريمه دون النظر إلى انتمائه الديني أو القومي أو العرق، ولقد أقر الإسلام كل شيء حسن، وحضَّ على كل معاني الخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

(1) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، (3/ 381)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، 1417هـ 1996م.

(2) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، (10/ 49)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: 2000م، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، (11/ 256)، دار صادر، ط: الأولى، بيروت-لبنان.

(3) لسان العرب، (1/ 662).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: الرحمة في القرآن الكريم

لفظ «الرحمة» مفهوم إسلامي أصيل، ورد ذكره في القرآن الكريم في نحو ثمانيةٍ وستينَ ومِائَتَيْ (268) موضعٍ[1].

ومن أعظم نعم الله تعالى على عباده أن هداهم للإسلام، ومن أجَلِّ النعم كذلك إنزالُه آخرَ كتبه -وهو القرآن الكريم- على خاتم وخير رسله -وهو النبي ﷺ-، يقول الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [الكهف:1]، فالله تعالى علَّم عباده أن يحمدوه على أعظم نعمة أنعمها عليهم؛ وهي أنه نزَّل كتابه الذي لا اعوجاج فيه، بل هو في غاية الاستقامة، حيث أخرجهم به من الظلمات إلى النور، وبين لهم فيه العقائدَ والحلالَ والحرامَ، وأسبابَ دخولِ الجنة والنار، وحذرهم فيه من كل ما يضرهم، وحضهم فيه على كل ما ينفعهم، فهو النعمة العظمى على الخَلق؛ فامتنَّ على خلقه بإنزاله، مبشراً من عمل به، ومنذراً من لم يعمل به، وذكر في مواضع عديدة أنه رحمة، كقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:174-175]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت:51]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:76-77]، وقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ﴾ [الإسراء:82]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ﴾ [فصلت:44]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:106-107]، وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ﴾ [القصص:86].

(1) من موقع: إسلام ويب/ مقالات، articles.islamweb.net، بتاريخ: 31/ 12/ 2009.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الأول: ذكر الرحمة في القرآن الكريم

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم ما يتعلق بلفظ الرحمة في آيات كثيرة؛ فتارة يذكرها بالمصدر «الرحمة» كونُها صفةً من صفات الله تعالى أو خلقاً من خلقه، وتارة يذكرها باسمٍ من أسمائه الحسنى أو وصفا لنبيه، وتارة بالفعل «رَحِمَ» وما يتصرف منه.

فمن أمثلة ذكرها مصدراً قول الله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:147]، وقول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:107]، فعلى الأول هي صفة من صفات الله تعالى غير مخلوقة، وعلى الثاني هي الجنة -كما سيأتي- وهي مخلوقة.

وجاء لفظ الرحمة اسما من أسماء الله الحسنى في اسمين هما «الرحمن» و «الرحيم»، نحوُ قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان:60]، وقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:20]، وورد وصفا لنبيه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:128]، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:43].

فاسم الرحمن متضمن صفة الرحمة[1].

ومن أمثلة وروده فعلا قوله تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الأنعام:16]، وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ﴾ [الإسراء:8]، وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون:118].

(1) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، (ص: 12)، دار الهجرة – الثقبة، ط: الثانية، 1422هـ- 2001م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثاني: أسماء الله تعالى وصفاته المتعلقة بالرحمة

يقول النبي ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1].

وإن الله تعالى وصف نفسه بالرحمة، وسمَّى نفسَه بما يدل على هذه الصفة، ومن الآيات الدالة على صفة الرحمة قولُه تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الأنعام: 147]، وقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: 133]، ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: 58]، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، ومن دعاء موسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: 151]، ومن دعاء يعقوب عليه السلام قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: 64]، ومن دعاء يوسف عليه السلام قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: 92]، ومن دعاء أيوب عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83].

فمن أسماء الله تعالى وصفاته الدالة على معاني الرحمة «الرحمنُ» و«الرحيمُ»، وهذان الاسمان وردا في القرآن الكريم مقترنين ومفترقين، وذلك في آيات عديدة؛

فمما جاء باقتران الاسمين البسملةُ وهي قولُ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم)، واختَلف العلماءُ في كونها آيةً مستقلة أو آيةً من بداية كل سورة، ووردا كذلك في أعظم سورة وهي آية كاملة في فاتحة الكتاب في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:3]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:163]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن

(1) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، (2585)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، (6986).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل:30]، وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت:2].

ومما جاء فيه الاسمان منفردين ما جاء في سورة كاملة سُمِّيَتْ باسم الباري جل وعلا وهي سورة «الرحمن»؛ فافتتحت بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن:1-2].

كما جاء اسم الرحيم مفترقا عن اسم الرحمن مقترنا غالبا باسمٍ يتضمن معنى الرحمة كالغفور والرؤوف والتواب؛ كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر:49]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:20]، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12].

فالرحمن على وزن فعْلان، يتضمن صفة الرحمة، فهو مشتق منها، وهو ذو الرحمة الواسعة العامة، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:156].

والرحيم على وزن فعيل، يتضمن صفة الرحمة، وهو مشتق منها، والرحيم ذو الرحمة الخاصة، كما قال جل شأنه: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:43].

فالرحمن يتضمن صفة الرحمة العامة، والرحيم يتضمن صفة الرحمة الخاصة.

يقول الشيخ عبد المحسن العباد: «أسماءُ الله كلُّها مشتقَّةٌ، تدلُّ على معان هي صفات، فالعزيزُ يدلُّ على العزَّة، والحكيم يدلُّ على الحكمة، والكريم يدلُّ على الكَرَم، والعظيمُ يدلُّ على العَظمة، واللَّطيف يدلُّ على اللُّطف، والرحمن والرَّحيم يدلاَّن على الرَّحمة، وهكذا، وليس في أسماء الله اسمٌ جامد، وما ذكره بعضُ أهل العلم من أنَّ من أسماء الله «الدَّهر» فغيرُ صحيح؛ فإنَّ الحديثَ القدسي: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَار[1]» لا يدلُّ على أنَّ من أسماء الله الدَّهر؛ لأنَّ الدَّهرَ هو الزمان، والله تعالى هو الذي يُقلِّبُ اللَّيل والنهار، فمَن سبَّ المقلَّب – بفتح اللاَّم وتشديدها– وهو الدَّهر، رجعتْ مسبَّتُه إلى المقلِّب –بكسر اللاَّم وتشديدها– وهو الله، وقد بيَّن الله ذلك بقوله: «بيدي الأمر، أقلِّب الليل والنهار».

وأمَّا الصفات فليس كلُّ صفة يُشتقُّ منها اسم؛ فإنَّ من صفات الله الذاتية الوجه واليد والقَدَم، ولا يُؤخذ منها أسماء، ومن صفاته الفعلية الاستهزاء والكيد والمَكر، ولا يُشتقُّ منها أسماء، فلا يُسمَّى بالماكر والمستهزئ والكائد»[2].

وقال ابن تيمية: «وكذلك لفظ الرحمة يُرادُ بها صفةُ الله التي يدل عليها اسمه الرحمن الرحيم، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:7]، ويُراد بها ما يرحم به عباده من المخلوقات، كقول النبي ﷺ: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة[3]»، وقوله عن الله تعالى: «يقول للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ويقول للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي[4]»[5].

(1) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة حم (الجاثية)، (4549)، ومسلم، كتاب اللفظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر، (6000)، واللفظ للبخاري.

(2) قطف الجنى الداني شرح مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، عبد المحسن بن حَمَد العبَّاد البدر، (ص: 72–73)، منار السبيل، الجزائر، ط: الأولى، 1423هـ–2002م.

(3) رواه البخاري، كتاب الرقائق، باب الرجاء مع الخوف، (6104).

(4) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة ق، (4569)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (7351).

(5) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (7/ 261–262)، تحقيق: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض–المملكة العربية السعودية، ط:1411هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالله تعالى أمرنا بالتراحم فيما بيننا؛ حيث يقول تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد:17-18].

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «والتواصي بالرحمة فضيلة عظيمة، وهو أيضاً كناية عن اتصافهم بالمرحمة؛ لأن من يوصي بالمرحمة هو الذي عَرَف قدرَها وفضلها، فهو يفعلها قبل أن يُوصي بها»[1].

ولقد نهانا الله ﷻ وحذرنا من القنوط من رحمته، فقال ﷻ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:53].

فالقنوط اليأس من الرحمة[2].

وقال الله ﷻ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر:56]، أي: لا أحد يقنط من رحمة ربه إلا الضالُّون عن الحق؛ لأن المؤمنين -وخاصّة الأنبياء- يعلمون من قدرة الله ﷻ وفضله وإحسانه ما لا يعلمه غيرهم، ويعلمون من قُرب رحمته وفرَجه ما لا يعلمه غيرهم. وهذا إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء يقول: (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) مهما كانتِ الحال من الشدّة ومن الضيق ومن الحرج؛ فإن المؤمن لا يقنط من رحمة الله، لأن الله قادرٌ على كل شيء، لا يعجزه شيء، وهو أرحم الراحمين[3].

(1) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (30/ 361)، الدار التونسية للنشر، تونس-1984م.

(2) التوقيف على مهمات التعاريف، (ص: 591).

(3) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، (2/ 72)، مؤسسة الرسالة ناشرون.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثالث: معاني الرحمة في القرآن الكريم

ورد لفظ الرحمة في القرآن دالا على عدة معان؛ نذكر منها ما يأتي:

1-**الإسلام والقرآن والنبوة**: ومنه قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:105]، أي: اختصكم -أيها المؤمنون- من الفضل بما لا يُحَد ولا يُوصَف، بما شرف به نبيكم محمدًا ﷺ على سائر الأنبياء وهداكم به لأحمد الشرائع، ورحمته في هذا الموضع، الإسلام والقرآن، مع النبوّة[1].

2- **الجنة**: ومنه قوله تعالى: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:107]، رحمة الله هنا: يعني جنته ونعيمها وما أعد الله لأهلها فيها، جعلنا الله تعالى من أهلها، آمين[2].

3- **المطر**: ومنه قوله تعالى: ﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [الأعراف:57]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:28]، فذكَر بعضاً من رحمته العامة الذي هو من أتمّ النعم وأجلّها وأحسنها أثراً، وهو المطر.[3]

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، (6/ 517)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 هـ- 2000م، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (2/ 60)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1420هـ - 1999م.

(2) تفسير الطبري، (7/ 96)، تفسير ابن كثير (2/ 92)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، (1/ 356)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، ط: الخامسة، 1424هـ/ 2003م.

(3) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (2/ 106)، دار إحياء التراث العربي–بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، تفسير ابن كثير (3/ 430)، تفسير التحرير والتنوير، (8/ 178)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (2/ 184).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- **القرآن**: ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس:58]، أي بلِّغهم يا رسولنا آمراً إياهم بأن يفرحوا بالإسلام وشرائعه والقرآن وعلومه التي رحمكم بها، فأنزلها إليكم، فعلَّمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه، وبصَّركم بها معالم دينكم، وذلك القرآن.[1]

5- **الإيمان**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ [هود:28]؛ الإسلام والهدى والإيمان والحكم والنبوَّة[2].

6- **العصمة**: ومنه قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ [يوسف:53]، إلا من عصمه الله تعالى، أو إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف[3]، ونحوه قول الله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:43].

7- **الرزق**: ومنه قول الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾، [الإسراء: 100]، فبين تعالى في هذه الآية أن بني آدم لو كانوا يملكون خزائن رحمته - أي خزائن الأرزاق والنعم- لبخِلوا بالرزق على غيرهم، ولأمسكوا عن الإعطاء خوفاً من الإنفاق لشدة بخلهم، فلم تنفقوها خوفاً من نفادها إذ هذا طبعكم، ومثلُه قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف:10]، أي: أَعطِنا من عندك مغفرة ورزقا.[4]

---

(1) تفسير الطبري، (15/ 105)، الكشاف، (2/ 336)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (2/ 483).

(2) تفسير الطبري، (15/ 299).

(3) الكشاف، (2/ 453)، تفسير ابن كثير، (4/ 394).

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، (3/ 744)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1400هـ-1980م، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، (ص: 654)،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8- **المنة**: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص:46]، وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظاً بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه[1].

9- **النصر**: ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ [الأحزاب:17]، أي خيرا ونصرا وعافية[2].

10- **الصحة والعافية والغنى والنعمة**: ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الزمر:38][3].

11- **النبوّة**: ومنه قوله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف:32]، ومعناه أيقسمون نبوته وكرامته فيجعلونها لمن يشاؤون، إذ النبوة رحمة من أعظم الرحمات، وكقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ [هود:28]؛ نبوةً صادقةً، وهي الرحمة العظيمة من الله[4].

=تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: الأولى، 1415هـ،1995م، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (3/ 229).

(1) الكشاف، (2/ 646)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، (5/ 193)، دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان.

(2) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي (تفسير القرطبي)، (14/ 151)، تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض– المملكة العربية السعودية، ط: 1423 هـ– 2003م.

(3) تفسير الطبري، (21/ 295)، تفسير الواحدي، (ص: 934)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (4/ 489).

(4) تفسير الواحدي، (ص:973)، الكشاف، (1/ 201)، تفسير ابن كثير، (4/ 317)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (4/ 636).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12-**المودة**: ومنه قوله تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:29]، والمعنى أنهم يُظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة، فهم متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد، وذلك من رسوخ أخوة الإيمان بينهم في نفوسهم[1].

13- **اللين والشفقة**: ومنه قوله تعالى: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد:27]؛ أي ليناً وشفقة، والرأفة أشدّ الرحمة.[2]

14- **إجابة الدعاء**: ومنه ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم:02]، أي هذا القولُ الذي أنزلتُ عليك ذكرُ رحمةِ الله سبحانه عبدَه بإجابة دعائِه لَمَّا دعاه[3].

المطلب الثاني: الرحمة في السنة النبوية

السنة النبوية هي كل ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير؛ وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، ولا يختلف المسلمون في حجية السنة الثابتة عن الرسول ﷺ لأنها وحي من الله تعالى، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3-4].

فالسنة الشريفة متضمنةٌ لمعاني الكتاب العزيز، وليس فيها -في حقيقة الأمر والواقع- ما يناقضه أو يعارضه؛ لأنها من مشكاة واحدة، فجاءت السنة شارحةً لِمُبهَمه مبينةً لِمُجمَله مقيدةً لِمُطلَقه مُخصصةً لعُمومه؛ وهكذا...

الفرع الأول: ذكر الرحمة في السنة النبوية

لقد استفاضت السنة النبوية بنصوصِها الداعيةِ إلى الرَّحْمَة الحاثَّة عليها، المرغِّبةِ فيها إمَّا نصًّا أو مفهومًا، بل إن بعثةَ النبي ﷺ نفسَها رحمةٌ للخلق أجمعين؛ حيث يقول

(1) تفسير الواحدي، (ص:1014)، تفسير أبي السعود، (8/ 144)، تفسير التحرير والتنوير، (26/ 204)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (5/ 117).

(2) تفسير الطبري، (23/ 202)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (5/ 278).

(3) تفسير الواحدي، (ص:675)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (3/ 293).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله تعالى واصفا له بالرحمة العامة لسائر الخلق: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

ومما جاء في السنة في بيان سعة رحمة الله تعالى قول النبي ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِ تَغْلِبُ غَضَبِي[1]».

بل إن الله تعالى جعل من رحمته التراحمَ بين البهائم والدواب، يقول النبيُّ عليه الصلاة والسلام: (جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ فِي مِئَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَن وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ)[2].

ولقد دأب علماء الحديث والأسانيد عند التحديث أن يبدأوا بأول حديث وهو حديث الرحمة؛ وهذا ما يُعرف بالحديث المسلسل بالأولية؛ فيكون أوَّلَ حديث يأخذه الطالبُ، وفي هذا إشارة وبيان لرحمة الله تعالى ولتراحم العباد فيما بينهم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[3].

ومن رحمة الله الواسعة رحمتُه بعباده يوم القيامة؛ فعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً قال: «فَيَقُولُ اللهُ عز وجل شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا،

(1) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)، (3022)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (7145)،واللفظ لمسلم.

(2) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مئة جزء، (5654)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (7148)، واللفظ للبخاري.

(3) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، (4943)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، (1924)، واللفظ للترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (925).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلاَ تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُ رِضَايَ فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا[1]».

الفرع الثاني: أسماء وصفات النبي ﷺ المتعلقة بالرحمة

كانت بعثة النبي ﷺ رحمةً للبشريةِ كلِّها، وكانت المجتمعات مهيأة لاستقبال رسالة جديدة أساسُها الأخلاقُ الكريمة والرحمةُ بهذا العالم الذي أرهقت ظلماتُ الجاهليَّات كاهلَه؛ فبُعث النبي ﷺ برسالةٍ العدلُ ركيزتُها، والرحمةُ والأمانةُ واحترامُ بشرية الإنسانِ دعائمُها، وشهد له أعداؤه بدماثة الخلق وبالعظمة الإنسانية، وشهد له ربه عز وجل أولا بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [ن:4].

ولذلك لما سُئلت عائشةُ ﵂ عن خلق رسول ﷺ قالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ؛ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»[2].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «فدل مجموعُ الآية وحديثُ عائشة على أن المتصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق أنه يكون على خُلق عظيم، وذلك لعظم ما في القرآن من مكارم الأخلاق»[3].

(1)- رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (472).

(2) رواه أحمد في مسنده، حديث السيدة عائشة ﵂، (24601)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (3/ 536).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد وصف الله تعالى نبيه بخلق الرحمة في غير ما موضعٍ من القرآن الكريم؛ حيث يقول الله عز وجل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:159]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:128].

ولقد سمَّى النبي ﷺ نفسه بما يوافق الرحمة؛ وجاء في السنة ما يبين ذلك، منها قول النبي ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَأَنَا الْمُقَفَّى وَأَنَا الْحَاشِرُ وَنَبِيُّ الْمَلاحِمِ»[1].

وقال ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالمقفِّي، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»[2].

الفرع الثالث: نماذج من رحمة النبي ﷺ

كان النبيُّ الرحيمُ ﷺ الرسولَ الكريمَ والإمامَ القدوةَ والزوجَ الصالحَ والأبَ الحنونَ والصاحبَ الوفيَّ والقائدَ الشجاعَ؛ وبتعدُّدِ مواقفه ووظائفه ﷺ تعددتْ رحمتُه، ومن بين النماذجِ العمليةِ للنبي ﷺ ما يلي:

1- **رحمته بالناس جميعا في الدنيا:** يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107]، وقال النبي ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»[3]، ومن مظاهر رحمة النبي ﷺ بالناس في الدنيا حِلمُه ورحمتُه بأعدائه، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ فَرَأَوْا مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالسَّيْفِ

(1) رواه الترمذي في الشمائل المحمدية، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، (368).

(2) انظر: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، أفراد مسلم، (487).

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب في حب النبي ﷺ، فصل في أسمائه ﷺ، (1404)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم: (490).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قَالَ اللهُ ﷻ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قَالَ كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ قَالَ أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَالَ لَا وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ فَخَلَّى سَبِيلَهُ...»[1].

2- **رحمته بالناس جميعا في الآخرة**: ومن رحمة النبي ﷺ بالناس جميعا في الآخرة موقفُه في أرض المحشر، حيث يلجأ الناس إلى أولي العزم لسؤال الله تعجيل القضاء والحساب، فيقول كل نبي «نفسي نفسي»، ويرشدهم عيسى عليه السلام إلى النبي ﷺ؛ ففي الصحيحين؛ قال النبي ﷺ: «فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ اشْفَعْ تُشَفَّعْ»[2]، فينتفعُ الناسُ جميعا مؤمنُهم وكافرُهم بشفاعته العظمى، وهي أعظم مظاهره رحمته.

3- **رحمته بأمته في الدنيا**: ومن رحمة النبي ﷺ بأمته في الدنيا ما ثبت في قصة الإسراء والمعراج، فعن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَفَرَضَ اللهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى فَقَالَ مُوسَى عليه السلام مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ، قَالَ قُلْتُ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ لِي مُوسَى عليه السلام فَرَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ فَرَاجَعْتُ رَبِّي

(1) رواه أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، (14929)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(2) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)، (3162)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (501)، واللفظ لمسلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهْيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي»[1].

4- **رحمته بأمته في الآخرة:** جعل الله تعالى خلق الرحمة بالأمة ثابتا في قلب النبي ﷺ إلى يوم القيامة؛ كيف لا ورحمتُه قد بلغت الكفار في الدنيا والآخرة، وتظهر هذه الرحمة الخاصة في شفاعاته ﷺ ؛ «فَأُوتَى فَأَقُولُ أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ يُلْهِمُنِيهِ اللهُ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ لِي انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ»[2].

5- **رحمته بالنساء:** كان النبي ﷺ أرحم الخلق بالخلق، فكان رحيما بنسائه وببناته وبنساء أصحابه ونساء أمته، فعن أنسٍ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى عَلَى أَزْوَاجِهِ، وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ؛ رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ»، قَالَ أَبُو

(1) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، (342)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، (433)، واللفظ لمسلم.

(2) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، (7072)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (500)، واللفظ لمسلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قِلَابَةَ: تَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَلِمَةٍ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُكُمْ لَعِبْتُمُوهَا عَلَيْهِ، يَعْنِي قَوْلَهُ: سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ»[1].

ومن رحمة النبي ﷺ بنساء أمته وصيتُه بهنَّ وهو يغادر هذه الدنيا؛ فعن أنسٍ رضي الله عنه قال: «كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ: الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»[2].

6- **رحمته بالأولاد والصبيان**: ولقد كان النبي ﷺ يقبِّل أولاده ويداعب الأطفال ويمازحهم، ويدعو غير ابنه «يا بُنَيَّ» ملاطفة لهم؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَا بُنَيَّ»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه «أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِيَ ﷺ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ، فَقَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ»[4].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ، فَقَالُوا نَعَمْ، فَقَالُوا لَكِنَّا وَاللهِ مَا نُقَبِّلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ»[5].

---

(1) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، (5797)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في رحمة النبي ﷺ للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن، (6180).

(2) رواه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ، (1625)، وفي السلسلة الصحيحة برقم: (868).

(3) رواه مسلم، كتاب الأدب، باب جواز قوله لغير ابنه يا بُنَـيَّ واستحبابه للملاطفة، (5748).

(4) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (5651)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، (6170)، واللفظ لمسلم.

(5) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، (6169).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ كَانَ فَطِيمًا- قَالَ فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَآهُ قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»، قَالَ فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ»[1].

7- **دعوته ورحمته بالمخالفين**: جعل الله تعالى الرفقَ واللينَ من شروط الدعوة إليه؛ حيث يقول ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:125]، وقد أرسل الله تعالى نَبِيَّيْهِ موسى وهارون عليهما السلام إلى أطغى أهل الأرض آمرا لهما بقوله: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه:43-44]، وكان النبي ﷺ داعية رحيما؛ فتح الله به قلوبا غلفا وعيونا عميا وآذانا صمّا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قَدِمَ الطُّفَيْلُ وَأَصْحَابُهُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ كَفَرَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ هَلَكَتْ دَوْسٌ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ»[2].

وعن عروة بن الزبير أَن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي

(1) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، (5778)، ومسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه وجواز تسميته يوم ولادته واستحباب التسمية بعبد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام، (5747)، واللفظ لمسلم.

(2) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، (2779)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيئ، (6611).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَقَالَ: إِنَّ اللهَّ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ؛ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُّ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَّ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[1].

المبحث الثاني

استعمالات الرحمة في الفقه الإسلامي

إن السعادة الحقيقية في الإسلام، ولا سعادة للبشرية كلها إلا في الإسلام وبالإسلام، وعلينا أن نعيش للإسلام وبالإسلام؛ الإسلام الذي حقق السعادة للعالم يوم أن حقق المسلمون الإسلام على أرض الواقع وجعلوه منهج حياة، يوم طبق المسلمون الإسلام في عباداتهم وحياتهم الدينية، وتعاملوا به في معاملاتهم وشؤونهم الدنيوية.

المطلب الأول: الرحمة في باب العبادات

خلق الله تعالى الخلق لعبادته وتوحيده، وكلَّفهم بأداء العبادات والطاعات وباجتناب المعاصي على وجه لا مشقة فيه ولا حرج، قال لله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:56]، وقال ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة:286]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾ [الحج:78]، فدين الله قائم على الرحمة والتيسير.

(1) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، (3059)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، (4754)، واللفظ لمسلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن تيمية: «وأما إذا كانت فائدة العمل منفعةً لا تُقاوِم مشقتَه فهذا فساد، والله لا يحب الفساد»[1].

يقول ابن القيم: «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلُّها، ورحمةٌ كلها، ومصالِحُ كلها، وحكمةٌ كلها»[2].

وقال كذلك: «فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتمَّ دلالة وأصدقَها»[3].

وسنُبيِّن رحمةَ الله الشاملةَ لباب العبادات بالتمثيل لأهم العبادات؛ ومنها:

1- **الطهارة**: جعل الله تعالى الطهارة شرطا لصحة الصلاة، غير أن هذا الشرط قد يسقط تخفيفا على المسلم ورفعا للحرج عنه، قال تعالى في آية الطهارة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:6].

(1) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (25/ 283)، تحقيق: أنور الباز-عامر الجزار، دار الوفاء، ط: الثالثة، 1426 هـ- 2005م.

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم)، (4/ 337)، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1423هـ.

(3) المرجع نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن كثير: «فلهذا سهل عليكم ويسَّر ولم يعسِّر، بل أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم... وقوله: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لعلكم تشكرون نعمَه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والرأفة والرحمة والتسهيل والسماحة»[1].

2- **الصلاة**: الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد توحيده ﷻ، وهي من أعظم شعائر الإسلام وعلامته، فهي المحققة لمعنى إسلام الوجه لله؛ فقد أمر الله تعالى بإقامتها، ورتَّب على إقامتها الأجرَ العميم، وعلى تركها والتهاون فيها العذابَ الأليم، وجعل فيها رحمة، وجعلها سببا لرحمته.

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:71]، فبين الله أن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمقيمين للصلاة والمؤتين للزكاة والمطيعين لله ولرسوله هم أهل الرحمة.

ويقول النبي ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[2].

قال الشوكاني: «قوله: (من ربه) أي من رحمة ربه وفضله، (وهو ساجد)؛ الواو للحال، أي: أقرب حالاته من الرحمة حال كونه ساجدا»[3].

وجعل الله فعل هذه العبادة مخفَّفا حسَب التيسير، قال النبي ﷺ لعمران بن حصين رضي الله عنه: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»[4].

(1) تفسير ابن كثير، (3/ 60).

(2) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (1111).

(3) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، (3/ 567)، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار ابن القيم، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1426هـ-2005م.

(4) رواه البخاري، أبواب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب، (1066).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزكاة: الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده.

فبالزكاة يرحم الغنيُّ الفقير، ويتراحم الناس فيما بينهم فيرحمهم ربهم، يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:56]، فالله تعالى جعل الزكاة من أسباب رحمته.

ومن رحمة الله تعالى بالمزكي أن جعل مقدار الزكاة قليلا وجعل بلوغ النصاب قدرا كبيرا، ومن رحمته أن جعل للزكاة أنواعا من الأموال؛ فلا تجب في مالٍ معيَّنٍ ولا في كل مال، ومن رحمته كذلك أنَّ ما يُخرَج يكون من متوسط المال لا من أكرمه وأجوده.

كما رتَّب الله تعالى على منعها منعَ خيره ورحمته، يقول النبي ﷺ: «وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»[1].

4- **الصيام**: الصيام هو الركن الرابع من أركان الإسلام، فرضه الله تعالى على المؤمنين لتحصيل التقوى، وجعل صيام رمضان واجبا على القادر المقيم، واختار لهم رمضان شهر التوبة والرحمة والعتق من النار.

ويُنمِّي الصومُ في الإنسان عاطفةَ الرحمة والأخوة والشعورَ برابطة التضامن والتعاون التي تربط المسلمين فيما بينهم، فيدفعه إحساسه بالجوع والحاجة إلى صلة الآخرين وإعانتهم.

ومن رحمة الله تعالى بالصائمين تخفيفُه على بعض الناس الصيامَ تيسيرا ورحمة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ

(1) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، (4019)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم: (106).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:183- 185].

فالصيام يكون أياماً معدودات من رمضان، لم يفرضه الله تعالى الدهرَ كله تخفيفاً ورحمةً، ومع هذه الرحمة في الصيام فقد شرع الله ﷻ للمريض الذي يضره الصوم وللمسافر الذي يشق عليه أن يفطرا ويقضيا أياماً بقدر الأيام التي أفطرا فيها، وهذا كذلك من التيسير على العباد والرحمة بهم؛ لأنه شهر تَنَزُّل الرحمة الإلهية، وأنه تعالى لا يريد بعباده إلا اليُسر والسهولة والرحمة، بل رُخِّصَ للحامل والمرضع الإفطارُ رحمة بهما وبالجنين أو الرضيع.

يقول النبي ﷺ: «إِذَا كَانَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»[1].

5- **الحج**: هو الركن الخامس من أركان الإسلام؛ أوجبه الله على المستطيع إليه رحمة منه، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:97].

ومما يؤكد رحمةَ الله تعالى في إيجاب الحج حديث أبي هريرة ﷺ قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ، فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ ثُمَّ قَالَ: ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»[2].

(1) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، (2548).

(2) رواه مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، (3321).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالحج فرصة عظيمة، يجود الله سبحانه وتعالى فيها على عباده المؤمنين بالمغفرة والرحمة والرضوان والعتق من النار، ويتعاون الناس فيما بينهم ويتراحمون، ويتبادلون المنافع الدينية والدنيوية وهذا كله من رحمة الله تعالى.

وتعظم رحمة الله على الحجاج في يوم عرفة؛ فروى الإمام مالكٌ في الموطإ عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال: «مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ وَلَا أَدْحَرُ وَلَا أَحْقَرُ وَلَا أَغْيَظُ مِنْهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا رَأَى مِنْ تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وَتَجَاوُزِ اللهِ عَنْ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ...»[1].

المطلب الثاني: الرحمة في باب المعاملات

رحمة الله تعالى بعباده كما شملت باب العبادات فقد شملت باب المعاملات، ويمكن التمثيل لذلك بما يلي:

1- **الزواج**: جعل الله تعالى الزواج سنة شرعية وكونية، فالزواج رباط مقدس وميثاق غليظ، تساق إليه الفطر القويمة وتدعو إليه الشرائع الحكيمة، وما زالت نفوس البشر تنساق فيه مع الفطرة وتجيب به داعي الحكمة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:21]، فبالزواج تحصل الرحمة والمودة والسكن، وبه يُلمُّ الشتات ويجتمع القلب وتُبتغى الذرية ففضائل الزواج متعددة وبركاته متنوعة.

قال ابن القيم: «وقَصَرَ عددَ المنكوحاتِ على أربع، وأباح ملك اليمين بغير حصر، فهذا من تمام نعمته وكمال شريعته وموافقتها للحكمة والرحمة والمصلحة؛ فإن النكاح يراد لوطء وقضاء الوطر، ثم من الناس من يغلب عليه سلطان هذه الشهوة فلا تندفع حاجته بواحدة فأطلق له ثانية وثالثة ورابعة، وكان هذا العدد موافقا لعدد طِباعِه

(1) رواه مالك، كتاب الحج، باب جامع الحج، (1597).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأركانه، ... وأباح للمرأة أن تحد على غير زوجها ثلاثا، فرحم الضرة بأن جعل غاية انقطاع زوجها عنها ثلاثا ثم يعود، فهذا محض الرحمة والحكمة والمصلحة[1]».

2- **الميراث**: الإرث هو حق قابل للتجزؤ يثبت لمستحقٍ بعد موتِ من كان له؛ لقرابةٍ بينهما ونحوِها[2].

وقد تكفل الله تعالى بقسمته؛ فكانت قسمةُ الميراث في الإسلام أعدلَ قسمة، فالحاقدون على الإسلام يزعمون أن الإسلام ظلم المرأة بتفضيل الرجل عليها في الميراث، فتثار هذه القضايا للنيل من التشريع الإسلامي، بدعوى أنه ظلم المرأة، ولم ينصفها، وفضل الرجل، عليها، وهي دعوى مغرضة وحجة واهية؛ لأن الإسلام أنصف المرأة ورفع من شأنها، فقد عانت قبل الإسلام لا تنال شيئا من الإرث بل تورث كما يورث المتاع.

قال الله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ [النساء: 11]، فقد تضمنت وصية الله تعالى من الرحمة والعدل والحكمة؛ فإنه جعل للبنات حظا في أموال آبائهن رحمة منه لضعفهن وترغيبا في نكاحهن، لأن المرأة تنكح لمالها وجمالها ولدينها، فعليك بذات الدين، قال ﷺ: «اتقوا الله في الضعيفين يعني المرأة واليتيم[3]»، فكان من رأفته بهن أن قسم لهن مع الذكور، وكان من عدله أن جعل للذكر مثل حظ الأنثيين لما يلزم الذكور من الإنفاق والصداق إذا بلغوا النكاح، ولما أوجب عليهم من الجهاد للأعداء والذب عن النساء، وجعل حظهم مثنى حظ الإناث كما جعل حظ الرجل مثل حظي الأنثى في الشهادات والديات لأنهن ناقصات عقل ودين للحيض

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (3/ 323/ 324).

(2) موسوعة الفقهية الكويتية، (3/ 17)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، دار الصفوة – مصر، ط: الأولى، 1414هـ- 1994م.

(3) حديث حسن؛ انظر صحيح الجامع برقم: (2447) بلفظ «إِنِّي أُحَرِّجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ».

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المانع لهن في بعض الأوقات من الصيام والصلوات، فجمع بين العدل والرحمة ونبه على العلم والحكمة[1].

قال الشيخ ابن عاشور: «فتوزيع المال بعد وفاة صاحبه ببيان فرائض الإرث على وجهٍ لا يقبل الزيادة والنقصان، وقد كان العرب يعطون أموالهم لمن يحبّون من أجنبي أو قريب، وكان بعض الأمم يجعل الإرث للأكبر، وجعل توزيع هذه الفرائض على وجهِ الرحمة بالناس أصحاب الأموال، فلم تعط أموالُهم إلاّ لأقرب الناس إليهم، وكان توزيعه بحسَب القرب كما هو معروف في مسائل الحجب من الفرائض، وبحسَب الأحوجية إلى المال»[2].

3- **البيوع والتجارات**: شُرعت الشركات والبيوع رحمة بالخلق ورفعا للحرج عنهم، وقد بيَّن النبي ﷺ أن في التجارة بركةً وأن السماحة فيها يوجب رحمة الله تعالى، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى)[3].

قال ابن حجر: «وفيه الحضُّ على السماحةِ في المعاملة واستعمالِ معالي الأخلاق وتركِ المشاحَّةِ والحضُّ على تركِ التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم[4]».

(1) الفرائض وشرح آيات الوصية، (ص: 29-30)، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، المكتبة الفيصلية- مكة المكرمة، ط: الثانية، 1405هـ.

(2) تفسير التحرير والتنوير، (3/ 46-47).

(3) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، (1970).

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (4/ 307)، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1379 هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- **الجهاد والحرب**: ومن رحمة رسول الله ﷺ ورحمة الإسلام معاملة غير المسلمين بالحسنى في أحلك المواضع، فقد لقي الرسول ﷺ هو وأتباعه من كفار مكة أشد ألوان العذاب، وعندما أنعم الله على المسلمين بفتح مكة، ووقع هؤلاء في أيدي الرسول ﷺ، ظنوا أنه سينتقم منهم، ويفتك بهم، لكنه عفا عنهم، بل كان النبي ﷺ أرحم بأعدائه من بعضهم ببعض، وأمر بإحسان القتل.

واتفق الفقهاء على أنه لا يجوز في الجهاد قتل النساء والصبيان والمجانين والخنثى المشكل، وكذلك لا يجوز قتل الشيوخ عند جمهور الفقهاء، لأنهم ليسوا من أهل القتال فلا يُقتلون[1]، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه العلة؛ فعن عبد اللهَّ بن عمر «أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللهَّ ﷺ مَقْتُولَةً فَأَنْكَرَ رَسُولُ الله ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»[2].

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهَّ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهَّ فِي سَبِيلِ اللهَّ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهَّ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلاَلٍ - فَأَيَّتُهُنَّ

(1) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ابن رشد الحفيد)، (1/ 404)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة- مصر، ط: الرابعة، 1395هـ- 1975م، المحلى، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، (7/ 296)، دار الفكر، بيروت- لبنان، [د.ب.ط]، الدراري المضية شرح الدرر البهية، محمد بن علي الشوكاني، (2/ 446)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1407هـ - 1987م.

(2) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، (2851)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، (4645).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ....»[1].

وعن رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلاً فَقَالَ: «انْظُرْ عَلاَمَ اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ، فَجَاءَ فَقَالَ عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ، فَقَالَ: مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ، قَالَ وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلاً فَقَالَ: قُلْ لِخَالِدٍ لاَ يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلاَ عَسِيفًا»[2].

5- **الرأفة بالحيوان**: وسِعتْ رحمة الله تعالى البشر كلهم؛ المؤمن والكافر، بل اتسعت لتصل إلى الحيوانات والبهائم، فالإسلام دين الرحمة ينهى عن الإفساد والعبث، ويأمر بأن يكون كل فعل عن قصد نافع ونية حسنة، لذلك أمر الله تعالى بذبح الحيوان مأكول اللحم لما في ذبحه من إراحته، ونهى عن قتل الحيوانات الأخرى عبثا أو لعبا لما في ذلك من منافاة الرحمة والمقاصد الحسنة، ويدل على هذا جملة من الأدلة منها قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[3].

وعن جابر قال: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ صَبْرًا[4]»[5].

(1) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، (4619).

(2) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، (2671)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم: (701).

(3) رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، (5167).

(4) الصَّبر: أي يحبس ويرمى حتى الموت.

(5) رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم، (5175).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لاَ تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا»[1].

6- **البكاء على الميت**: اتفق الفقهاء أن البكاء على الميت على وجه الرحمة والرقة ونحو ذلك جائز، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب وذلك لا ينافي الرضا؛ بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي ﷺ لما بكى عند موت ابن إحدى بناته؛ فقال: «هَذِهِ رَحْمَةٌ، جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ[2]»[3].

وثبت في السنة في حادثة موت إبراهيم ابن النبي ﷺ أنه ﷺ قال: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[4].

7- **القضاء والعدالة**: الإسلام دين الأمن والأمان، دين العدل والرحمة، حقق الأمانَ لا للمسلمين الذين طبقوه فقط، بل كذلك لليهود والنصارى الذين عاشوا في كنفه.

ومن معالم ذلك عدل الخليفة الراشد الثاني الفاروق عمر رضي الله عنه، فعن أنس أن رجلا من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين! عائذ بك من الظلم، قال: عذتَ مُعاذاً، قال: سابقتُ ابنَ عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقُدوم ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين، قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع السوط على

(1) رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم، (5171).

(2) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه) إذا كان النوح من سنته، (1224)، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، (2174).

(3) مجموع الفتاوى، (10/ 47).

(4) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ (إنا بك لمحزونون)، (1241).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صلعةِ عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين! إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه، فقال عمرُ لعمرو: مُذْ كَمْ تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ قال: يا أمير المؤمنين! لم أعلم ولم يأتني[1].

وهذا يهودي يقف أمام القاضي شريح إلى جوار أمير المؤمنين علي ﷺ؛ فيُؤخذ الحقُّ لليهودي، فعن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال: «وجد علي بن أبي طالب درعا له عند يهودي التقطها فعرفها فقال: درعي سقطتْ عن جمل لي أورقَ، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، ثم قال له اليهودي: بيني وبينك قاضي المسلمين، فأتوا شريحا، فلما رأى عليا قد أقبل تحرف عن موضعه وجلس علي فيه ثم قال علي: لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تساووهم في المجلس، ولا تعودوا مرضاهم ولا تشيعوا جنائزهم، وألجئوهم إلى أضيق الطرق، فإن سبوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم، ثم قال شريح: ما تطلب يا أمير المؤمنين؟ قال: درعي سقطت عن جمل لي أورق فالتقطها هذا اليهودي، فقال شريح: ما تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي، فقال شريح: صدقتَ والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك ولكن لا بد من شاهدين، فدعا قنبرا مولاه والحسنَ بن علي فشهدا أنها لَدرعُه، فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها وأما شهادة ابنك لك فلا نجيزها، فقال علي: ثكلتك أمك أما سمعت عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، قال: اللهم نعم، قال: أفلا تجيز شهادة سيدي شباب أهل الجنة، ثم قال لليهودي: خذ الدرع، فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى على علي ورضي، صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك

(1) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، كتاب الفضائل، باب فضائل الصحابة- فضائل الفاروق ﷺ، عدله ﷺ، (36010)، تحقيق: بكري حياني- صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة، 1401هـ - 1981م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سقطت عن جمل لك التقطتها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فوهبها له عليٌّ وأجازه بسبع مائة، ولم يزل معه حتى قتل يوم صفين»[1].

المطلب الثالث: ما لا تناسبه الرحمة

مما يَعيبه أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمين- زورا وبهتانا- أن الإسلام دين فيه قساوة وشدة، وأن أهله أهل عنف وقسوة، ودعواهم في ذلك أن في دينهم إقامةَ الحدود كالقتل والقصاص والقطع وغير ذلك، لكن العاقل اللبيب يدرك أن القوةَ والشدةَ محمودةٌ في مواضعها؛ فغَسل الأعضاءِ واللباسِ مثلا يحتاج إلى دَلْكٍ وعَصْرٍ ونوعِ شدة، وهذا لا يعيبه أحدٌ، وسأذكر بعض المسائل التي لا تتناسب معها الرحمة، ومنها:

1- **إقامة الحدود**: فإن إقامة الحدود من شرع الله تعالى، وهو فرع عن القضاء، فلا يجوز العبث أو الاستهانة بها، وقد أوجب النبي ﷺ إقامتها على من استحقها دون تمييز وحرم الشفاعة فيها، ففي الحديث عن عائشة ﵂ قالت: «أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[2].

(1) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، كتاب الشهادات، فصل في أحكامها وأدابها، (17795).

(2) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم)، (3288)، ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، (4505)، واللفظ لمسلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبيَّن الله تعالى وجوب إقامة الحد وعدم الرأفة فيه، حيث يقول ﷻ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[النور: 02].

والرأفة: رحمة خاصة تنشأ عند مشاهدة ضُرٍّ بالمرؤوف، وعلق بالرأفة قولَه: (في دين الله) لإفادة أنها رأفة غير محمودة لأنها تعطل دين الله، أي أحكامه، وإنما شرع الله الحد استصلاحاً فكانت الرأفة في إقامته فساداً، وفيه تعريض بأن الله الذي شرع الحد هو أرأف بعباده من بعضهم ببعض[1].

وعند ابن كثير؛ قال عامر الشعبي: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴾ قال: رحمة في شدة الضرب[2].

وقال أبو السعود: (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ) رقةٌ ورحمةٌ في دين الله في طاعته وإقامة حده فتطلوه أو تسامحوه فيه[3].

2- **مباشرة الذبح وإكمال البسملة**: شرع الله الذبح رحمة بالحيوان، غير أن هذا الذبح لا بد فيه من حد الشفرة أو السكين وعدم الشفقةِ فيه؛ لأن في الشفقة عند مباشرة الذبح تعذيباً للحيوان، ولذلك قال النبي ﷺ: «وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[4].

(1) تفسير التحرير والتنوير، (18/ 151).

(2) تفسير ابن كثير، (6/ 8).

(3) تفسير أبي السعود، (6/ 156).

(4) سبق تخريجه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واختلف العلماء في حكم إكمال التسمية عند الذبح، بأن يقال: «الرحمن الرحيم»، فقيل: لا يستحب، لأن الذبح ليس بملائم للرحمة ولا يليق بالمقام؛ ولأن فيه تعذيبا، وذلك ينافي الرحمة، وقيل: يستحب وهو أكمل، لأن في الذبح رحمةً بالآكلين[1].

3- **قضاء القاضي**: القضاء هو سلطة الفصل بين المتخاصمين وحماية الحقوق العامة بالأحكام الشرعية، ويُلزم القاضي المتخاصمين بما في الحكم، ويتوجب في القضاء القوة والحزم في إصدار الحكم وفي تنفيذه، ويتنافى القضاءُ مع الرحمة بالخصوم المعتدين والجناة، لأنه من باب حماية المقاصد الشرعية وتقديم المصالح العامة.

والمقصودُ من الرحمة المرعية في العقاب والتطبيق القضائي الرحمةُ العامة بالجماعة، فينظر إلى المصلحة العامة من ناحية المبدأ والحكم المطبق، بقطع النظر عن مصلحة كل شخص بعينه، أما التسامح الخاص والشفقة والرفق بألم بعينه، أو ما يسمى بالرأفة بالمتهم الذي ثبتت عليه الجريمة؛ فلا ينظر إليه، وتستبعد مراعاته ومحاولة إعفاء الجاني من العقوبة[2].

(1) رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار (حاشية ابن عابدين)، محمد أمين ابن عابدين، (1/ 80)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، طبعة خاصة: 1423هـ- 2003م، مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالحطاب، (4/ 329)، تحقيق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، طبعة خاصة: 1423هـ- 2003م، تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب)، سليمان بن محمد البجيرمي الشافعي، (1/ 229)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1417هـ- 1996م، شرح منتهى الإرادات (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى)، منصور بن يونس البهوتي، (3/ 421)، عالم الكتب، بيروت-لبنان، سنة النشر: 1996م.

(2) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، (7/ 259)، دار الفكر، سورية-دمشق، ط: الرابعة، طبعة منقحة ومعدلة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن إقامة الحد من العبادات، كالجهاد في سبيل الله، فينبغي أن يعرف أن إقامة الحدود رحمة من الله بعباده، فيكون الوالي شديداً في إقامة الحد، لا تأخذه رأفة في دين الله فيعطله، ويكون قصدُه رحمةَ الخلق بكف الناس عن المنكرات لا شفاءً لغيظه وإرادةَ العلو على الخلق، بمنزلة الوالد إذا أدّب ولده، فإنه لو كف عن تأديب ولده -كما تشير به الأم رقة ورأفة- لفسد الولد، وإنما يؤدبه رحمة به وإصلاحاً لحاله، مع أنه يود ويُؤْثر ألا يَحُوجه إلى تأديب، وبمنزلة الطبيب الذي يسقي المريض الكريهَ، وبمنزلة قطع العضو المتآكل والحجم[1] ويقطع العروق بالفِصادِ[2] ونحوِ ذلك، بل بمنزلة شرب الإنسانِ الدواءَ الكريهَ وما يدخله على نفسه من المشقة لينال به الراحة»[3].

4- **مباشرة القتال**: ومن الأمور التي لا تتناسب مع الرحمة قتال الكفار المشركين، قال الله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: 29]، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: 123]؛ وهذه الغلظة تكون عند مباشرة القتال، أما قبله فتكون الدعوة والبلاغ، وأما بعده فيجوز المنُّ أو الفدية أو الأسر أو القتل.

قال المفسرون: (غِلْظَةً) شجاعةً، وقيل: عنفاً، وقيل: شدة، والغلظة ضد الرِّقة، وفائدتها أنها أقوى تأثيراً في الزَّجْرِ والمنع عن القبيح، وهذا غيرُ مطَّرد، بل يحتاجُ تارة

(1) الحجم: مص الدم.

(2) الفصادُ: شق العروق.

(3) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أبو العباس أحمد بن تيمية، (ص:94)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، ط: الأولى، 1403هـ-1983م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى الرِّفْقِ واللُّطفِ وتارة إلى العنف، ولهذا قال: (وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً) تنبيهاً على أنه لا يجوز الاقتصار على الغلظة ألبتة فإنَّه يُنَفِّرُ ويوجب تفرق القوم، فيدلُّ على تقليل الغلظة، كأَنَّهُ قيل لا بد وأن يكونوا بحيثُ لو فتَّشُوا عن أخلاقكم وطبائعكم لوجدوا فيكم غلظة، وهذا الكلامُ إنَّما يصحُّ في مَنْ أكثرُ أحوالِه الرحمةُ والرأفةُ؛ فلا يخلو عن نوع غلظة، وهذه الغلظةُ إنَّما تُعتبرُ فيما يتعلَّق بالدَّعوة إلى الدِّين؛ إمَّا بإقامة الحُجَّةِ، وإمَّا بالقتال[1].

(1) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، (10/ 244)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط: الأولى، 1419هـ - 1998م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

بعد عرض هذه المباحث؛ يتبين لنا أن رحمة الله وسعت كل شيء، فقد نالت البشرَ من آمن منهم ومن كفر، وطالت البهائم والحيوانات، بل شملت الحجر والمدر، والجماد والشجر.

فالرحمة صفة من صفات الباري جل وعلا، جعل منها جزءًا يتراحم به خلقه فيما بينهم، وأسماء الله دالة على الرحمة إما لفظا كالرحمن والرحيم وإما تضمُّنا كالرؤوف والغفور، كما أن معانيَ الرحمة تعددت في القرآن الكريم.

كما جعل الله لنبيه شيئا منها؛ فهو نبي الرحمة، وموصوف بها، أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، فمظاهر رحمة النبي ﷺ لا ينكرها أحد، فقد أقرَّ بها أعداؤه وهم معه، واعترف بها المستشرقون حديثا، فجعلوا النبي ﷺ على رأس العظماء، لكن ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: 14].

فدين الله تعالى دين الرحمة؛ ظهرت آثارها عليه في تشريع العبادات بأنواعها، والمقاصد الشرعية مبناها عليها ومآلها إليها، وتجلَّت الرحمة كذلك في معاملات المسلمين، فالفقهاء أسهبوا في الكلام عليها، وربطوا كثيرا من المسائل الفقهية بها؛ بل إن الفقهَ الإسلاميَّ بمباحثه ومسائله كلَّه رحمةٌ.

ويجدر بنا أن نبيِّن بعض المسائل التي قد تتعارض في الظاهر مع الرحمة:

فالجهاد شرع رحمة بالناس حتى يرجعوا إلى دينهم؛ ولم يكن النبي ﷺ يبدأ بالقتال، بل يبدأ بالدعوة والبيان وإبلاغ الحجة، ولا يلجأ للحرب إلا إذا بدأها أعداؤه أو كانوا معارضين وصادِّين طريق الدعوة، كما أن الله ﷻ جعل للجهاد والحرب شروطا وآدابا وجب على المسلمين التحلي بها، ثمَّ نرى أعداء الإسلام اليوم يشنون حربا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عشواء على الإسلام واتهامه بالدموية وحبِّ القتل، والناظرُ في الساحة العالمية يرى عكس ذلك.

وإقامة الحدود فيها رحمة بالمجتمعات، فكان أهلُ الجاهلية عربا وعجما متناحرين متقاتلين، لا يسكن لهم روع ولا يهدأ لهم بال، شنُّوا حروبا دامت عشرات السنين، فجاء الإسلام فألَّف بين قلوب الأعداء وآخى بينهم، وشرع الحدود لحياة الناس لا لقتلهم، يقول الله تعالى مُبيِّنا أهمية القصاص: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 179]، وللأسف نُتَّهم دائما بالرجعية والبعد عن التحضُّر، والصحيح أن الرجعية والتخلف يكون في البعد عن تعاليم ديننا الحنيف، والواقع يصدق ذلك أو يكذبه.

والذكاة والذبح الشرعي فيه رحمة بالحيوان، حيث أوصانا ربُّنا عز وجل بالرفق في الأمور كلها، وحثنا النبي ﷺ بالإحسان في كل شيء ولو مع الحيوان أو الكفار المقاتلين، فأين أنتم من هذا يا أعداء الإنسان الزاعمين الرأفةَ بالحيوان المدعين حمايةَ حقوقه، فقد أثبت العلم الحديث أن أفضل وسيلة لراحة الحيوان هو الذبح الشرعي لا الخنق ولا الصعق ولا الطرق، بل هو وسيلة صحيَّة لا عفن فيها ولا تغير للدم أو اللحم.

هذا وفي نهاية هذا البحث يستحسن أن نذكر بعض التوصيات؛

التوصيات: من أول وأولى ما نتواصى به أن نوصي أنفسنا وغيرنا بتقوى الله تعالى، فهي وصية الأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ [النساء:131]، فبتقوى الله تتألف القلوب ويتراحم الناس، ويَصلح لهم دينُهم ودنياهم.

- إظهار الوجه الحسن للإسلام وبيان رحمته وسماحته؛ وذلك بحسن التعامل فيما بيننا ومع غيرنا خاصة، وتبليغ وتعليم غير المسلمين الإسلام الحق الذي جاء به نبينا محمدٌ ﷺ، وكان عليه سلفُنا الصالح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، لأنه سبيل الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

- بيان وسطية الإسلام وأنه لا غلو فيه ولا إجحاف، لا إفراط ولا تفريط، فهو بعيد عن التكفير والتبديع والتضليل العام وتكفير المعين؛ أي التكفير بلا شروط ولا قيود، كما هو بعيد عن أفكار المذاهب المميعة كمذهب الحلولية ومذهب الدراويش.

- الإنكار والتحذير مما يقع في العالم من قتل وتدمير وتخريب ونسبة ذلك للإسلام زورا وبهتانا.

- التحذير من إصدار الأحكام الجزافية غير المبنية على التثبت والبيان، لأن ذلك يوغر الصدور ويزرع الحقد والفرقة بين المسلمين، وينشر الطائفية ويشجع التعصب المقيت، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:31-32].

- وجوب تناصح المسلمين فيما بينهم، فذلك أدعى للتراحم والتواد والتعاطف، وقد حصر النبي ﷺ الدينَ كلَّه في النصيحة بقوله عليه الصلاة والسلام: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»[1].

- على المسلمين حكومات وجامعات وجمعيات إنشاء مراكز ومعاهد للتعريف بالإسلام بيان رحمته وسماحته؛ على نحو **مشروع السلام عليك أيها النبي**.

- هذا البحث ما يزال فيه مجال وسَعَة للمزيد فيه وتنمية جميع أفكاره ومجالاته ومحاوره.

(1) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (205).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الأخير أسأل الله تعالى للمسلمين جميعا التوفيق لكل خير، وأسأله أن أكون قد وفقت لبيان – ولو بقدر يسير– جانب من جوانب رحمة الإسلام، ولعظمة هذا الدين الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العلمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش والمصادر والمراجع

1) القرآن الكريم

2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان.

3) أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة– مصر، ط: 1396هـ– 1976م.

4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1400هـ–1980م.

5) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة ناشرون.

6) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن القيم)، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1423هـ.

7) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة– المملكة العربية السعودية، ط: الخامسة، 1424هـ/ 2003م.

8) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ابن رشد الحفيد)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة– مصر، ط: الرابعة، 1395هـ–1975م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد الحسيني، مرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

10) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط: الثانية، 1399هـ-1979م، بيروت- لبنان.

11) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (البجيرمي على الخطيب)، سليمان بن محمد البجيرمي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1417هـ - 1996م.

12) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي، دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 112، السنة 33 - 1421هـ.

13) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس- 1984م.

14) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1420هـ - 1999م.

15) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر- دار الفكر، بيروت، دمشق-سورية، ط1، 1410هـ.

16) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 هـ- 2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

17) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي (تفسير القرطبي)، تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط: 1423 هـ- 2003م.

18) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: علي حسين البواب، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط: الثانية، 1423هـ - 2002م.

19) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط:1411هـ.

20) الدراري المضية شرح الدرر البهية، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1407هـ - 1987م.

21) رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار (حاشية ابن عابدين)، محمد أمين ابن عابدين، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار عالم الكتب، الرياض- المملكة العربية السعودية، طبعة خاصة: 1423هـ- 2003م.

22) السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض- المملكة العربية السعودية.

23) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت-لبنان.

24) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي-بيروت.

25) سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

26) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أبو العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة، ط: الأولى، 1403هـ-1983م.

27) شرح منتهى الإرادات (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى)، منصور بن يونس البهوتي، عالم الكتب، بيروت-لبنان، سنة النشر: 1996م.

28) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، 1410هـ.

29) الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط: 1412م.

30) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت- لبنان، ط: الثالثة، 1407 - 1987.

31) صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيوت -لبنان، ط: الثالثة، 1408 - 1988.

32) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، دار الجيل- دار الأفاق الجديدة، بيروت-لبنان.

33) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة - الثقبة، ط: الثانية، 1422هـ- 2001م.

34) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: الأولى، 1416 هـ- 1996م.

35) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1379 هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

36) الفرائض وشرح آيات الوصية، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، المكتبة الفيصلية، مكة، ط: الثانية، 1405هـ.

37) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط: الاولى، 2000م.

38) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر، سورية-دمشق، ط: الرابعة، طبعة منقحة ومعدلة.

39) قطف الجنى الداني شرح مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، عبد المحسن بن حَمَد العبَّاد البدر، منار السبيل، الجزائر، ط: الأولى، 1423هـ-2002م.

40) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (الكشاف)، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

41) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي البرهان فوري، تحقيق: بكري حياني- صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة، 1401هـ-1981م.

42) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط: الأولى، 1419هـ-1998م.

43) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، ط: الأولى، بيروت-لبنان.

44) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز- عامر الجزار، دار الوفاء، ط: الثالثة، 1426 هـ- 2005م.

45) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: 2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

46) المحلى، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، دار الفكر، بيروت- لبنان، [د.ب.ط].

47) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط: 1415هـ-1995م.

48) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: الأولى، 1417هـ 1996م.

49) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط: الثانية، 1420هـ- 1999م.

50) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

51) مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالحطاب، تحقيق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، طبعة خاصة: 1423هـ- 2003م.

52) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، دار الصفوة – مصر، ط: الأولى، 1414هـ- 1994م.

53) موطأ الإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط: الأولى، 1425هـ- 2004م.

54) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار ابن القيم، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1426هـ-2005م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

55) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: الأولى، 1415هـ، 1995م.

56) موقع: إسلام ويب/ مقالات، articles.islamweb.net، بتاريخ:31/ 12/ 2009.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com